

القبيلة والسلطة

تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب

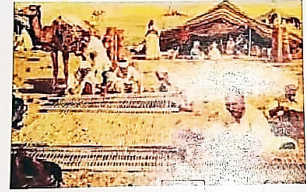
الصافي عبد الرزاق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس
المملكة المغربية



القبيلة والسلطة

تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب



مختار الهراس

المركز الوطني لتنسيق ونخيط البحث العلمي والفني

بيانات الكتاب

المؤلف: المختار الهراس
المركز الوطني لتنسيق ونخيط البحث العلمي والتقني
عدد الصفحات: ٢٨٦ صفحة

الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٩٨٨
مكان النشر: المغرب.



10.21608/KAN.2023.333350

معرف الوثيقة الرقمي:

كلمات مفتاحية:

القبيلة؛ شمال المغرب؛ الاستعمار الإسباني؛ المجتمع المغربي؛ تاريخ المغرب الحديث

مقدمة

والدراسات، له عدة مؤلفات نذكر على سبيل المثال لا الحصر؛ التحولات الاجتماعية والثقافية في البوادي المغربية، المرأة وصنع القرار.

الكتاب قيد الدراسة والتحليل، كتاب القبيلة والسلطة تطور في البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، من أهم الكتابات التي صدرت عن المركز الوطني لتنسيق ونخيط البحث العلمي والتقني ١٩٨٨، يقع في حوالي ٢٨٦ صفحة، يتضمن خمسة فصول:

- الفصل الأول: المقاربات النظرية لمفهوم القبيلة
- الفصل الثاني: الدينامية المحلية.
- الفصل الثالث: الدينامية الشمولية.
- الفصل الرابع: الاستعمار الإسباني والهياكل القبلية.
- الفصل الخامس: التحولات الراهنة للهياكل القبلية.

تعتبر الدراسات الاستعمارية التي قاربت المجتمع المغربي خلال فترة الحماية منطلقاً لظهور مجموعة من الدراسات التي اهتمت بالبنيات القبلية، حيث دراسة مختلف التحولات والتغيرات، ولعل دراسة المختار الهراس من أهم الدراسات التي تطرقت لهذا النوع من الدراسات إذ نجده اهتم بالشمال المغربي وبخاصة قبيلة انجرة التي عرفت عدة تحولات. بماذا نفسر هذه التحولات؟ ما آليات الانتقال من وضعية إلى أخرى؟

التعريف بالكاتب والكتاب

مختار الهراس،^(١) أستاذ علم الاجتماع بجامعة محمد الخامس أكدال الرباط، وهو عضو بمجموعة الأبحاث

مجموعة بشرية مكونة من قسامات (فخذات و بطون وأعراش...) ومجموعات اجتماعية يجمع بينها رابط القرابة الدموية (سواء أكان حقيقيا ام وهميا) من خلال الانتماء الى جد مشترك^(٣)

تقوم القبيلة على الأرض: حيث تشكل الأرض العنصر الأساس للمجتمعات الزراعية، "إن مسألة الأرض في المجتمع المغربي لا تخرج عن القاعدة العامة التي رسمتها الشريعة مادام البلد ينتمي إلى المجتمعات الإسلامية، فكل أرض هي مال، ترجع إلى البيت مال المسلمين"^(٤).

يعرف الأستاذ محمد الكتاني القبيلة بانها؛ "جماعة من الناس تنتسب إلى نسب واحد، ويرجع النسب إلى جد أعلى، أو إلى جدة، وهو في الأقل. وما تزال اللفظة حية مستعملة يستعملها العرب في كل مكان. في المعنى الاصطلاحي المستعمل عند النسابيين. فالقبيلة هي المجتمع الأكبر إلى أهل البادية. فليس فوقها مجتمع عندهم"^(٥). ويعرفها موسى المودن بحديثه عن تركيبة القبيلة المغربية بقوله؛ "تضم القبيلة في المغرب مجموعة من الفخذات، ونادراً ما يرمز اسمها إلى جد أعلى، يعتقد أفراد القبيلة بانتسابهم إليه، وهو أمر بديهي طالما أن القبائل في مختلف الجهات المغربية عرفت اختلاطاً كبيراً في أصولها. ولعل مثل هذه الوضعية عند المجتمع القبلي، هي التي جعلت ابن خلدون يرى أن النسب هو الانتماء الفعلي إلى جماعة معينة، أي الانتماء إلى عصبية ما، وليس فقط الانتماء إلى جد مشترك، ومن هنا فإن تعصب الفرد لعصبية ما (قبيلة أو جماعة) يرجع إلى الألفة وطول المعاشرة، وما ينتج عن ذلك من تشييعه بعاداتها وتقاليدها وبالروح الجماعية السائدة فيها، وما ارتباط مصطلحتها وجوده بوجودها"^(٦).

كما نجد الماركسية التي نظرت إلى القبيلة على أنها نسق متكامل وشمولي، تشمل العلاقة مع السلطة وعلاقات الإنتاج الاقتصادية، ف"التحليل المادي التاريخي (يركز) في تحديده لمفهوم القبيلة على مفاهيم مادية مرتبطة بنمط الإنتاج وملكية وسائل الإنتاج وما يترتب عن ذلك من علاقات إنتاج وتراتبات اجتماعية"^(٧)

الفصل الثاني: الدينامية المحلية

يعتبر المختار الهراس أن السكان في الشمال المغربي بين مدن سبتة وطنجة وتطوان، سكان غماريين مصموديين احتكوا بالعرب الوافدين بقيادة عقبة بن نافع،

كما عرج المختار الهراس على الخاتمة ولائحة المصادر، وأشار في المقدمة إلى بعض خصوصيات قبيلة انجرة ومنها موقعها الجغرافي وثقافتها العربية الإسلامية، بالإضافة إلى التغيرات التي حدثت نتيجة للاستعمار، مبينا لائحة المصادر والمراجع المعتمدة والتي تحتوي على الوثائق والمراسلات المخزنية، الكتابات والمخطوطات الأجنبية، بعض الفقهاء الذين عاشوا الوقائع، ناهيك عن المنوغرافيات الأجنبية والسير الذاتية.

الفصل الأول: بعض المقاربات النظرية لمفهوم القبيلة

مفهوم القبيلة عند ابن خلدون:

القبيلة لا تتحدد بكونها جماعة متفرعة عن جد أول، بل هي تتعدى ذلك النسب البعيد في معناه الواسع وما يمثله من أشكال التحالف والولاء والانتماء، فالأرض تشكل أساس الالتحام، وما يعزز من التحامها هو الخطر الخارجي سواء من طرف القبائل الخارجية أو من طرف السلطة المركزية، "...فالنسب أمر وهمي لا حقيقة له، ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام"^(٨).

مفهوم القبيلة عند ميشو بيلر:

قامت نظرة ميشو بيلر إلى القبيلة انطلاقاً مما لحظه:

- بلاد المخزن أي القبائل الخاضعة والمنضبطة.
- بلاد السببية أي القبائل المنشقة والثائرة التي لا تعترف بسلطة المخزن.

مفهوم القبيلة عند روبير مونطاني:

القبيلة لا يتم تحديدها بالانتماء إلى جد مشترك فقط بقدر ما يتم تحديدها بالتسمية ومجال العيش وفق مصالح مشتركة، والذي يساهم في ترابطها هو الخطر الخارجي، ولمواجهتها تعقد التحالفات.

مفهوم القبيلة عند جاك بيرك:

القبيلة تنتج عن طريق ثلاث نقاط متفاعلة مع بعضها البعض وهي البنية الاجتماعية المرتبطة بالأرض، وأيضاً يربط القبيلة بوسطها الإيكولوجي البيئي أما الانتماء إلى الأصل المشترك فهو مجرد وهم يتوهمه الأفراد.

يمكننا أن نضيف نحن في هذا الإطار تعريفاً آخر لمفهوم القبيلة عند رجال بوبريك بقوله: "القبيلة

مما يوضح تأثرهم بالثقافة العربية الإسلامية، واحتكاكهم بالقبائل العربية الوافدة في القرن ٨ الهجري كبنو جابر وبنو عاصم... دون أن ننسى الموقع الجغرافي لقبيلة انجرة الذي اجبر السكان على التكيف معه، وان يبتكر ثقافة وتراث تتأقلم مع هذا المجال.

مؤسسات القبيلة على المستوى الاجتماعي:

تشكل القبيلة من العائلة والأسرة، وما يرتبط بهما من نسب وقرباة دموية، بالإضافة الى دور الذي تقوم به الجماعة كمؤسسة اجتماعية تهدف الى الحفاظ على التوازنات الاجتماعية والحفاظ على لحمة القبيلة، بالإضافة الى عقد المواسم والزوايا، ويتضح ذلك أكثر من قول الهادي الهروي؛ "لقد كانت اجماعة عبارة عن مجلس مكون من رؤساء العائلات الباطيركية التي تبدوا كجماعات متعددة تملك رموزا مشتركة بين عناصرها، وتفرض ممارسات مميزة لها، وقد تجتمع هذه العائلات، ممثلة في رؤسائها في مجلس واحد هو جماعة الجمهورية البربرية. وكانت اجماعة تزاوّل مهام سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية سواء داخل الدوار أو الفخدة أو العظم"^(٨). وتختص الجماعة بعدة مهام كتوزيع الأدوار والمهام والتكليف بشق الطرق وبناء المساجد، وإقامة احتفال ليلة القدر، والتعاون في مجال الحرث والحصاد والدرس، وتقديم الطعام للغرباء واستقبال الضيوف، ناهيك عن تنظيم المواسم والاحتفالات، ف"إلى جانب سلطة القواد والخلفاء وباقي الأعوان من الشيوخ والمقدمين والمخازنية، استمر العمل بنظام الجماعات... كانت الجماعة سيّدة الإدارة القبلية، تبت في كل القضايا الحساسة التي تهم المجموعة البشرية"^(٩)، وتقوم بعقد ما يسمى **بالطاطا**؛ وهي تشكل تحالف ما بين جماعتين أو قبيلتين حيث يحرم فيه الزواج ما بين الطرفين كما تحرم السرقة بينهم أو الاعتداء المادي أو المعنوي، ليشكل رابط اخوي حميمي، خاصة أمام الأعداء التي تشن الهجمات عليهم، ويتحدث عنها رجال بوبريك بقوله: "إن اهم مؤسسات القبيلة في تدبير شؤونها على المستوى الداخلي والخارجي على حد السواء، هي الجماعة. فهي الجهاز التشريعي القضائي الساهر على تنفيذ بنود العرف القانونية وتنظيم شؤون القبيلة والبت في كل أمورها. وتستمد الجماعة شرعيتها من المجموعة التي فوضت لها سلطة تدبير شؤونها التي تتجاوز البعد

القانوني العرفي الى ما هو سياسي، باعتبارها سلطة تنظم شؤون القبيلة"^(١٠).

الأنشطة الاقتصادية:

خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت قبائل المغرب تمارس عدة أنشطة اقتصادية رغبة في تلبية حاجياتها، مستعملة أساليب ووسائل تقليدية، وهي على النحو التالي:

- الفلاحة: تتميز قبائل المغرب بزراعة عدة أنواع من الحبوب واهمها القمح والشعير الى جانب الرعي، حيث "يعتبر الرعي مورداً هاماً لمعيشة فلاح القبائل، وله علاقة حميمة بالبيئة الطبيعية"^(١١)، ويقوم النشاط الفلاحي على الأرض ف" هي المحرك الأساسي للوحدات الاجتماعية في كل المجتمعات الزراعية، فقد كانت في المغرب ولا تزال البؤرة المحورية التي يحتدم حولها صراع تلك الوحدات الاجتماعية سواء كانت حضرية أو ريفية. إن مسألة الأرض في المجتمع المغربي لا تخرج عن القاعدة العامة التي رسمتها الشريعة ما دام البلد ينتمي الى المجتمعات الإسلامية"^(١٢).
- الصناعة: عرفت القبائل عدة حرف تقليدية كانت تصب هي الأخرى في تحقيق الاكتفاء الذاتي.
- التجارة: من اهم ما كان يتم اللجوء إليه قبل فرض الحماية هو التجارة حيث تتم عملية تبادل المنتوجات مع المدن المجاورة بهدف تحقيق الحاجيات الأساسية، وهنا يشكل السوق مركز لتبادل السلع والبضائع، "وقد كانت هذه الأسواق تقام بأمكنة خاصة، يتكثف فيها التواصل بين الأشخاص والجماعات وتنتشر الأخبار والأحداث والدعايات. وقد كانت المبادلات معتمدة في معظمها على التداول النقدي الذي يسري على العديد من المنتوجات الزراعية كالخضر والفواكه والحبوب والبقوليات والأعشاب، ومنتوجات ذات أصل حيواني، كالصوف والجلد والوبر واللحوم والذخون والبيض والبهائم الخ"^(١٣).

كما لعبت الزوايا دوراً مهماً في عملية التبادل التجاري حيث كانت تعقد المواسم والتي تعرض فيها مختلف المنتوجات، والاجتماع حول الولي يعكس ميل القبائل الى

السلم والأمن فيما بينها كما انه يدل على التسامح والتصالح ما بين الأفراد والجماعات المتنازعة حول الأرض أو الماء أو المرعى.

- **نظام الملكية:** تتميز الملكية بالتعدد حيث نجد الملكيات العائلية، ملكيات الأحباس، ثم الملكية الجماعية.
- يتميز التنظيم القبلي بوجود العائلة التي تشكل مستوى أدنى إلى القبيلة كمستوى أعلى، ولعل ذلك يتضح

أكثر من قبائل النوير التي تتميز بالتضارب والصراع بين الأفراد، العائلات، الأرباع... ولعل من أسباب هذا الصراع نجد العرض، الكرامة،... وكل هذا يزول بظهور الخطر الخارجي حيث تتماسك وتتحد القبيلة، فالنظريات الانقسامية هي اهم ما يحكم انجرة حيث نجد التعارض والالتحام، ودور المخزن يتمثل في الحفاظ على الأمن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، إذ يتم تكليف الصلحاء والأولياء للقيام بمهام الوساطة والهدنة، بهدف حماية العلاقات التجارية وحماية التواجد الأجنبي من الثورات القبلية.

الفصل الثالث: الدينامية والشمولية

يتضمن مجال الشمال المغربي مجموعة من الشرفاء القبليين والريسونيين والذين يحضون بالنسب الشريف، وهو الذي منحهم مكانة متميزة رمزية وروحية جيدة، فتم استغلال هذه المكانة لإدخال القبائل تحت سلطة المخزن، وهو ما يجعلنا نخرج بخلصة مؤداها أن الالتحام الذي كان سائداً في إطار البنية الانقسامية أصبح الآن منفصلاً، بسبب تعدد الولاءات الدينية التي تحرص على ربط صلاتها بالمخزن. وقد ارتبط مفهوم السبية بشكل وثيق بالتسرب الأجنبي للمغرب منذ احتلال الجزائر عام ١٨٣٠، تبين أطماعها في المغرب هاته الأطماع التي كانت تتجلى في أن فرنسا كانت تقوم بعدة مناوشات، ولعل ذلك يتضح من قول ثريا براءة؛ "وقد دخل المغرب وفرنسا منذ ١٨٣٠ في اختبار قوي، حرص فيه كل منهما على تأكيد سيادته وتفوقه، وعلى إضعاف الآخر، مع تحاشي المواجهة المباشرة والشاملة. وقد بدأ المولى عبد الرحمان هذه المرحلة، بإظهار عزمه على احترام العقد السياسي الديني، فقبل بيعة أهل تلمسان، وأرسل جيشاً من العبيد والودايا لتأكيد السيادة المغربية على هذه

المنطقة، وأرهف السمع للتحمس الشعبي للجهاد ضد العدو الكافر، وشرع في تفقد حاميات السواحل، وفي اقتناء الأسلحة. وقدم الإعانة المادية والمعنوية للمجاهد عبد القادر وسلك سياسة "لم آمر بها ولم تسؤني مع القبائل المغربية الشرقية التي كانت تتوغل في التراب الجزائري وتغير على الجيش الفرنسي" (١٤).

لقد شكل الاحتلال الفرنسي لدولة الجزائر عام ١٨٣٠، تهديداً مباشراً للمغرب. فبعد أن قامت فرنسا بتوطيد نفوذها بإضعاف سلطة الأمير عبد القادر الجزائري، انصب اهتمامها على المغرب مستغلة مساندة المغاربة للأمير فقامت بالتحرش بمناطقه الشرقية، فقد "لجأت فرنسا إلى كل أنواع الضغوط ومظاهر القوة والمناورات التي ترمي إلى إضعاف المخزن وشعبيته، بإظهار عجزه أمام السكان، كإظهار السفن الحربية على السواحل المغربية، بل وبتنظيم توقفات منتظمة للسفن العابرة للبحر الأبيض المتوسط والمتوجهة للمحيط الأطلسي أمام طنجة لنشر الرعب والبلبلة. واختارت وقت الأزمات الداخلية، كثورة الودايا والغرب سنة ١٨٣١م لتوغل الجيش الفرنسي في الحدود الشرقية، وإرسال إنذارات صارمة والقيام بمناورات سياسية كمشاهدة إقناع المخزن تارة بخطر شعبية عبد القادر، وأطماعه وتواطئه مع القبائل المغربية ضده، وتارة بعزمها على التحالف مع عبد القادر" (١٥).

يمكن القول إن الاحتلال الذي تعرضت له الجزائر شكل تهديداً مباشراً للمغرب خاصة بعدما إبان المغرب عن رفضه منع عبد القادر الجزائري من اللجوء إلى التراب المغربي، لتبدأ مرحلة العدوان الاستعماري الفرنسي على بلاد المغرب.

كانت معركة اسلي بمثابة الضربة القاضية للتنظيم العسكري، فقد انهارت السمعة العسكرية التي كونها المغرب منذ قرون طويلة، والتي ساهم خلالها المغرب في إخضاع الجزيرة الإيبيرية للسلطة الإسلامية وانطفاً بريق الإمبراطوريتين المرابطية والموحدية، وضاعت هيبة الانتصار الساطع الذي أحرزه في معركة وادي المخازن ضد البرتغاليين ومتطوعي الدول الأوروبية الأخرى الذين جاءوا ليمدوهم بالمساعدة استجابة لنداء البابا، وشهرة المغاربة في محافظتهم على استقلالهم عن العثمانيين الذين احتلوا بلدان شمال أفريقيا وجل بلدان العالم

بأحوال الفوضى والتسيب الضريبي والابتزازات غير المشروعة. كما انتقده الفقهاء واعتبروه مخالفا للشرع"^(١٧)، وقد سهلت مجموعة من العوامل في زعزعة هياكل القبيلة والتي تجلت في الضغط على المخزن لقبول الإصلاحات، إشراف الدول الأجنبية على شبكات التجارة بين المدن والبادي ناهيك عن منح الحماية لبعض الأعيان والوجهاء.

الفصل الرابع: الاستعمار الإسباني وهياكل القبيلة

لحقت القبيلة أثناء مرحلة الاستعمار مجموعة من التحولات، لعل أبرزها **القضاء**؛ هذا الأخير كان يتبع التقليد العائلي الذي يقوم على مبدأ الوراثة في تعيين القضاة، ولعل أبرزهم القائد المعين على قبيلة انجرة القائد ابن علي اللماغي الذي سهل على الإسبان بسط السيطرة على قبيلة انجرة، ناهيك عن تعيين العائلات الشريفة في الإدارات الذين يقومون بمهام إضفاء المشروعية. أما الجهاز المخزني، فقد أصبح الجهاز المخزني خاضعاً لإدارة استعمارية اتخذت عدة إجراءات تتمثل في تقسيم المنطقة الشمالية إلى خمس مناطق نفوذ، في كل واحدة يوجد مراقب ترابي، يشرف على ست جهات، وكل جهة تحت إشراف مراقب جهوي وفي أسفل الهرم نجد المراقب المحلي، هذا لا يعني أنه تم التخلي عن النظام القديم (شيوخ، قواد...) بل تمت المحافظة عليه لترسيخ وتوطيد بناء الدولة للاستعمارية، بالإضافة إلى أنه تم دمج الجماعة تحت إشراف مجلس الوصاية، وهنا كانت تتلقى الأوامر من مندوب الشؤون الأهلية. دون أن ننسى وضع مركز عسكري في جبل طارق يشمل عدد كبير من الجيوش والأسلحة.

المشروعات الاقتصادية:

تأسست مجموعة من الشركات من قبل المستعمر والتي هدفها استغلال المعادن مثل شركة الشمال الأفريقي ١٩٠٧، والشركة الإسبانية للمعادن بهدف تزويد إسبانيا بحاجياتها، ناهيك عن وضع بنية تحتية تقوم على إمداد السكك الحديدية والطرق واستصلاح الأراضي ناهيك عن إدخال أساليب فلاحية جديدة.

الفصل الخامس: التحولات الراهنة للهياكل القبلية

التغيرات الديموغرافية: الهجرة الداخلية التي أدت إلى استنزاف الطاقات الشابة وفككت أواصر التضامن والخضوع المضر لجهاز الدولة، كما أن عامة الناس أصبحت تبحث عن ربط علاقات اجتماعية مع الوسطاء كالشيوخ والقياد والشرفاء.

الإسلامي وصيانة التقاليد الحربية عته للقبائل، وكذلك الخوف الذي كانت تبعته الخيالة العربية أو "قراصنة سلا". وكانت الدول المرغمة على دفع الجزية للسلطان من أجل ضمان سلامة مراكبها على امتداد السواحل المغربية كثيرة، نذكر منها السويد والدنمارك وجنوة والبندقية ونابولي، وكانت صعوبة النفاد إلى المغرب ومقاومته لمحاولات "الانفتاح" التي كان الأوروبيون يحاولون فرضها عليه، من العوامل التي ضاعفت إلى حدود وقوع من كثافة الغموض الذي يكتنف قدراته العسكرية. واستغرب أحد الصحفيين الأوروبيين لذلك فيقول "أمر غريب ففي زمن غدت فيه دول العالم تنهافت على الانفتاح على جميع الكشافات ها هي منطقة أكثر مجاورة قد ظلت منغلقة، لا نعلم عنها أكثر ما نعلمه عن الصين ونوظف جميع قوانا للدخول إليها، إنها مملكة المغرب التي ظلت تشكل حصناً حصيناً، كما أنها تعتبر أكثر دول العالم الإسلامي حيوية، فبإمكان سفرائنا أن يجدوا تعزية على عجزهم عن الذهاب إلى بكين ما داموا لم يقووا حتى على الرغم من كوننا نشاهد في زرقة الأفق رسمها من أعالي المرتفعات الأوربية، فالمغرب نجح أكثر من تركيا في أن يحمي نفسه من كل اختراق خارجي إذ ظل يشكل منطقة شاسعة منعزلة عن العالم الإسلامي في زاوية من القارة الأفريقية يحميها البحر وسلسلة كثيفة من الجبال"^(١٨). بالإضافة إلى هزيمة المغرب أمام الإسبان سنة ١٨٦٠ وما نتج عنها من فرض للغرامة المالية التي أثقلت كاهل المغرب، بالإضافة إلى الاتفاقية التجارية مع الإنجليز سنة ١٨٥٦.

كل هذه الأحداث ساهمت في تقلص مكانة المخزن وعجزه عن التحكم في مختلف القبائل التي عارضت التواجد الأجنبي، بالإضافة إلى أن سبته ربطت علاقات تجارية مع الأجانب مما زاد من التهريب في الشمال وأضعفت سلطة المخزن وفسح المجال للتسرب الأوربي والتصدي للضغوطات الأجنبية، في هذا السياق بدأت المنتوجات الأوربية تغزوا السوق المغربية وزاد من الضغوطات على المغرب إصدار الترتيب العريزي ١٩٠١ الذي ثم رفضه إذ ساوى ما بين الأغنياء والفقراء، مما قوى من حدة التضارب بين المخزن والقبيلة، "لقي الترتيب معارضة قوية من طرف المستفيدين الأوائل (العمال وممثلي المخزن) الذين اعتادوا على السباحة في المستنقعات والاصطياد في مياهها العكرة الغاصة

الاحالات المرجعية:

- (1) أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط في الرباط- المملكة المغربية، تقاعد من التعليم حديثاً بعد مسيرة عمرها ٤٠ عاماً، ويعتبر الهراس أحد أبرز علماء الاجتماع المغاربة والعرب. والهراس، هو مؤسس علم اجتماع القبيلة بالمغرب، ويحسب له أنه ساهم في تطوير السوسولوجيا وتجديدها عمومًا، كما أنه يعتبر من رواد سوسولوجيا التنمية والتنمية البشرية على الخصوص، وفتح آفاقها بالجامعة المغربية وخارجها، وذلك من خلال إراثه الخزانة السوسولوجية المغربية والعربية والعالمية بعدد المؤلفات والدراسات الصادرة سواء بالمغرب أو في دول عربية أو أوروبية أو أمريكية، بشكل فردي أو ثنائي أو جماعي، على سبيل المثال لا الحصر: المرأة وصنع القرار في المغرب، القبيلة والسلطة: تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، الخصوبة والسلوك الإنجابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، التحولات الاجتماعية والثقافية في البوادي المغربية، والمجتمع المغربي... ومن الجدير بالذكر أن الهراس به يتقن أربع لغات: العربية، الفرنسية، الإنجليزية والإسبانية، وهو أستاذ زائر بعدة جامعات عربية ودولية، وعضو في المجلس العربي للعلوم الاجتماعية (مجلس الأمانة)، كما أنه خبير ومستشار لعدة منظمات وهيئات عربية وعالمية حكومية وغير حكومية. (المصدر: الجمعية العربية لعلم الاجتماع)
- (2) عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق مجدي فتحي السيد، الدار التوفيقية للتراث للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص ١٤٤.
- (3) رحال بوبريك، زمن القبيلة والسلطة وتديبر العنف في المجتمع الصحراوي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٢، ص ٩.
- (4) الهادي الهروي، القبيلة، الإقطاع والمخزن مقارنة سوسولوجية للمجتمع المغربي الحديث ١٨٤٤-١٩٣٤، أفريقيا الشرق، ٢٠١٠، ص ٦٥.
- (5) محمد الكتاني، موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي، الدار البيضاء، منشورات دار الثقافة، ط: ٢٠١٤، ٢/١٩٥١.
- (6) موسى المودن، قبيلة غمارة: التاريخ، الإنسان والمجال، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى ٢٠٢٠، ص ١٩.
- (7) الهادي الهروي، م.س، ص ٥١.
- (8) نفسه، ص ١٠٤.
- (9) صالح شكاك، المغرب العميق ورديفة الكبرى، ١٨٧٣-١٩٥٦، مساهمة في دراسة تاريخ الجهات بالمغرب المعاصر، تقديم محمد كنيب، الطبعة الأولى ٢٠١٠، ص ١٤.
- (١٠) رحال بوبريك، م.س، ص ١٩.
- (١١) الهادي الهروي، م.س، ص ٩٤.
- (١٢) الهادي الهروي، م.س، ص ٦٥.
- (١٣) نفسه، ص ٩٠-٩١.
- (١٤) ثريا براءة، الجيش المغربي وتطوره في القرن ١٩، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة رسائل وطروحات رقم ٣٧، ص ١٩١-١٩٢-١٩٣-١٩٤.
- (١٥) ثريا براءة، م.س، ص ١٩٤-١٩٥.
- (١٦) بهيجة سيمو، إطلاحات العسكرية بالمغرب ١٨٤٤-١٩١٢، ص ٨٨-٨٩.
- (١٧) الهادي الهروي، م.س، ص ٢٠٤.

التغيرات الاقتصادية: تميزت في فقدان الأراضي الجماعية، تقلص مصاريف الأعباس، الاستيلاء على المراعي من طرف الدولة، تسييج الأراضي أي التخلي عن الرعي الجماعي، تغيرات في مجال تديبر مياه السقي، ظهور تقنيات جديدة وزراعات جديدة والأسمدة.

تحليل ومناقشة الكتاب:

على مستوى المضمون:

- انطلق صاحب الكتاب مما هو عام، أي من بلورة عدة مفاهيم الاشتغال التي تعد ضرورة معرفية ومنهجية حددها منذ البداية كالقبيلة، الصلحاء، المخزن... فلا يمكن فهم المجتمع بدون الرجوع إلى هذه المفاهيم لفهم تحولات المجتمع.
- تناول مفهوم القبيلة من زوايا عديدة الخلدونية، الماركسية، ثم الانقسامية.
- إزالة اللثام عن قبيلة انجرة في الشمال المغربي.
- مقارنة هياكل القبيلة قبل وإبان وبعد فترة الاستعمار.

على مستوى المنهج:

- غياب الهوامش والإحالات في أسفل الصفحة حيث أدرجت في المتن.
- تصميم يتضمن خمسة فصول: الفصل الأول والثاني: تضمن عناوين صغرى وتحتها عناوين فرعية أخرى صغرى. الفصل الثالث والرابع: شكلا جوهر الدراسة، واقتصرا على عناوين فرعية كقط فقط دون وضع أرقام كما في الفصول الأولى.
- حضور المقدمة في الفصل الأول وغيابها في الفصول الأخرى.
- غياب بليوغرافيا مفصلة لتشمل الوثائق والمصادر والمراجع، حيث نجد المصادر العربية والأجنبية، الوثائق المخزنية بتطوان، وثائق العائلة.
- إغفال وضع نماذج للاستثمارات التي اعتمد عليها.
- إغفال وضع فهارس للجداول.
- إغفال وضع مصادر للخرائط.

خاتمة

مجمّل القول، لقد شكّلت دراسة المختار الهراس نموذجاً للدراسات السوسولوجية المغربية التي قاربت المجتمع المغربي خلال القرن التاسع عشر في قبيلة انجرة، والتي عرفت عدة تحولات نقلتها من النمط التقليدي المتماسك إلى نمط عصري مفكك، هذا التحول الذي لم يكن بمحض الرغبة الشخصية وإنما فرضته عدة ظروف خارجية، كما أن الدراسات السوسولوجية انطلقت من فكرة التراجع والركود الاقتصادي للمجتمع المغربي.